الوقف واللهجات في ضوء " شرح التصريح على التوضيح" للوقاد(ت:905هـ)

عمرو محمود محمد عبد القادر

باحث ماجستير بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة المنيا.

مقدمة:

إن علم الصرف ذو قيمة مهمة في اللغة العربية، فبه ظهرت خصائصها وعجائب مكنوناتها، لذا فالبحث في اللهجات العربية وبيان خصائصها وسماتها لأمر مهم في الوقوف علي أصول اللغة العربية وجذورها، فقد كانت الجزيرة العربية قبل الإسلام تموج بشتى اللهجات المتباينة، التي يخالف بعضها بعضا، في شيء من الصوت، أو البنية، أو الدلالة، أو التركيب... ولكن اللغويين العرب، لم يصفوا لنا تلك اللهجات العربية القديمة وصفا دقيقا كاملا في كثير من الأحيان، وذلك لانشغالهم في المقام الأول بالعربية الفصحى، تلك اللغة الأدبية المشتركة، بين مجموع القبائل العربية، والتي كانوا يستخدمونها في مواقف الجد من القول، وينظمون بها أشعارهم، ويصبون فيها حكمهم وأمثالهم، ثم شرفها الله تعالى، فأنزل كتابه الكريم بأعلى ما تصبو إليه هذه اللغة من فصاحة وبلاغة.

الوقف:

لغة:

قال الخليل بن أحمد (ت :170هـ) : " الوقف: الوَقْفُ: مصدر قولك: وَقَفْتُ الدابة ووَقَفْتُ الكلمة وَقْفاً، وهذا مجاوز، فإذا كان لازماً قلت: وَقَفْتُ وُقُوفاً. فإذا وقَّفْتَ الرجل على كلمة قُلْتَ: وقَّفْتُه توقيفاً، ولا يقال: أَوْقَفْتُ إلا في قولهم: أَوْقَفْتُ عن الأمر إذا أقلعت عنه. والوَقْفُ: المسك الذي يجعل للأيدي، عاجاً كان أو قرناً مثل السوار، والجميع: الوُقُوف"[1].

ذكر الجوهري(ت:393هـ) : "وقف ، الوَقْفُ: سِوارٌ من عاج . يقال وَقَّفْتُ المرأة تَوْقيفاً، إذا جعلت في يديها الوَقْفَ. وفرسٌ مُوَقَّفٌ، إذا أصاب الأَوْظِفَةَ منه بياضٌ في موضع الوَقْفِ ولم يَعْدُها إلى أسفل ولا فوق، فذلك التَوْقيفُ." [2]

وقال ابن فارس(ت:395هـ) : "(وَقَفَ) الْوَاوُ وَالْقَافُ وَالْفَاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَمَكُّثٍ فِي شَيْءٍ ثُمَّ يُقَاسُ عَلَيْهِ. مِنْهُ وَقَفْتُ أَقِفُ وُقُوفًا. وَوَقَفْتُ وَقْفِي، وَلَا يُقَالُ فِي شَيْءٍ أَوْقَفْتُ إِلَّا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِلَّذِي يَكُونُ فِي شَيْءٍ ثُمَّ يَنْزِعُ عَنْهُ: قَدْ أَوْقَفَ."[3]

يشير ابن مالك (ت : 672هـ) إلى أن الوقف في اللغة هو الحبس"[4].

اصطلاحا:

عرفه العلماء بتعاريف متقاربة منها:

وذكر سيبويه (ت:180هـ) أنّ شيخه الخليل سماه السكوت حيث قال:"وسألته عن هيهات اسم رجل وهيهاة؟ فقال: أما من قال: هيهاة فهي عنده بمنزلة علقاة. والدليل على ذلك أنَّهم يقولون في السكوت: هيهاه." [5]

وعرفه ناظر الجيش(ت:778هـ) : " قطع النطق عند آخر الكلمة اختيارا، فهو قطع الموقوف عليه عن الاتصال للاستراحة، أو تمام المقصور، أو الترنم، أو استثباتا، وإنكارا، وتذكرا، ونحو ذلك" [6]

وذكر الجرجاني (ت:816هـ) في كتابه التعريفات : "الوقف: في اللغة الحبس، والوقف في القراءة: قطع الكلمة عما بعدها. الوقف في العروض: إسكان الحرف السابع المتحرك."[7]

وذكره ابن الجزري(ت:833هـ) : " وَالْوَقْفُ: عِبَارَةٌ عَنْ قَطْعِ الصَّوْتِ عَلَى الْكَلِمَةِ زَمَنًا يَتَنَفَّسُ فِيهِ عَادَةً بِنِيَّةِ اسْتِئْنَافِ الْقِرَاءَةِ إِمَّا بِمَا يَلِي الْحَرْفَ الْمَوْقُوفَ عَلَيْهِ، أَوْ بِمَا قَبْلَهُ ."[8]

وعرفه الوقاد (ت:905هـ) : "وهو قطع المنطق عند آخر الكلمة، والمراد هنا الاختياري باليأس المثناة التحتانية، لا الاختياري بالموحدة، ولا الإنكاري، ولا التذكيري، ولا الترنمي، ويقابله الابتداء والابتداء عمل، فيكون الوقف استراحة عن ذلك العمل، ويتفرع عن قصد الاستراحة في الوقف ثلاثة مقاصد، فيكون لتمام الغرض من الكلام، ولتمام النظم في الشعر، ولتمام السجع في النثر."[9]

وعرفه التهانوي(ت:1158هـ) : " الوقف اصطلاحا قطع الكلمة عمّا بعدها بسكتة طويلة فإن لم يكن بعدها شيء يسمّى ذلك قطعا"[10]

وذكره الحملاوي (ت:1351هـ) بقوله : "هو قطع النطق عند آخر الكلمة."[11]

الوقف على المنون:

ذكر الوقاد(ت:905هـ): " فأما "إذا وقفت على منون" غير مؤنث بالتاء فللعرب فيه ثلاث لغات: حذف التنوين مطلقًا، والوقف بالسكون مطلقًا، وهو لغة ربيعة. وإبدال التنوين مطلقًا ألفًا بعد الفتحة، وواوًا بعد الضمة، وياء بعد الكسرة، وهي لغة الأزد. والتفصيل بين المفتوح وغيره "فأرجح اللغات" الثلاث "وأكثرها أن يحذف تنوينه بعد الضمة والكسرة"، ويسكن ما قبل التنوين "كـ: هذا زيد، و: مررت بزيد" بسكون الدال في المثالين، "وأن تبدل ألفًا بعد الفتحة إعرابية كانت" الفتحة "كـ: رأيت زيًدا. أو بنائية كـ: إيها" بكسر الهمزة وسكون الياء التحتانية بمعنى: "انكفف"، "و: ويها" بفتح الواو وسكون الياء بمعنى "أعجب."[12]

من خلال النص السابق للوقاد(ت:905هـ) نلحظ أنه ذكر ثلاث لهجات في "الوقف على المنون" بغير تاء وهي:

إحداها: حذف التنوين مطلقًا، وهي لغة ربيعة.

ثانيها: والوقف بالسكون مطلقًا، وهي لغة ربيعة.

ثالثها: وإبدال التنوين مطلقًا ألفًا بعد الفتحة، وواوًا بعد الضمة، وياء بعد الكسرة، وهي لغة الأزد.

وذكر الوقاد وأما المؤنث بالتاء فإن تنوينه يحذف مع الضمة، كما يحذف مع غيرها، وتبدل التاء هاء، ومن وقف بالتاء فإنه يبدل من التنوين ألفًا بعد الفتحة ويقول: "قائمتا" على إحدى اللغتين. وإذا وقف على المقصور المنون وجب إثبات الألف في الأحوال الثلاثة، وفيه ثلاثة أقوال:

أحـدها: اعتبـاره بالصـحيح. فـالألف في النصـب بـدل مـن التنـوين، وفي الرفـع والجـر بـدل من لام الكلمة.

القــول الثــاني: أن الألــف بــدل مــن التنــوين في الأحــوال الثلاثــة، واستصــحب حــذف الألف المنقلبة وصلا ووقفًا، هذا مذهب أبي الحسن، والفراء، والمازني.

والقــول الثالــث: أنهــا الألــف المنقلبــة في الأحــوال الثلاثــة، وأن التنــوين حــذف، فلمــا حـذف عـادت الألـف، وهـو مـروي عـن أبي عمـرو والكسـائي وابـن كيسـان والسـيرافي، ونقله ابن الباذش عن سيبويه، والخليل، وفي الألف الموقوف عليها لغات:

أشهرها أن تقر على صورتها.

الثانية: قلبها ياء، لأن الياء أبين من الألف، وهي لغة فزارة، وبعض قيس.

والثالثة: قلبها واوًا، لأن الواو أبين من الياء، وهي لغة بعض طيئ.

والرابعــة: قلبهــا همـزة، لأن الهمـزة أخـت الألـف، وهـي أبـين الحـروف كلهـا، وهـي لغـة بعض طيئ أيضًا، وليس من لغتهم التخفيف [13] .

الوقف على المحرك الذي ليس هاء التأنيث:

قــال الوقــاد(ت905هــ): " ولــك في الوقــف علــى المحــرك الــذي لــيس هــاء التأنيث خمسة أوجه:

أحــدها: أن تقــف بالسـكون" المجـرد عـن الـروم والإشمـام، سـواء في ذلـك المنـون وغـيره، والمعرب والمبني، هذا هو الأكثر والأغلب. "وهو الأصل"[14]

والوجــه الثــاني:" أن تقـف بالـروم، وهـو إخفـاء الصـوت بالحركـة، فـلا تتمهـا، بـل تختلسـها اختلاسًـا تنبيهـا علـى حركـة الأصـل، قالـه الجـاربردي. و لا يخـتص بحركـة بعينهـا، بـل يجـوز في الحركـات كلهـا، ويحتـاج في الفتحـة إلى رياضـة لخفـة الفتحـة، وتنـاول اللسـان لهـا بسـرعة "خلافًـا للفـراء في منعـه إياه، أي الـروم "في الفتحـة. وأكثـر القـراء "السـبعة "علـى اختيار قوله"، ووافقهم أبو حاتم على المنع.[15]

والوجه الثالث: أن تقف بالإشمام، ويختص بالمضموم"، ولا يكون في المفتوح والمكسور.[16]

والوجـه الرابـع: أن تقـف بتضـعيف الحركـة الموقـوف عليـه" في اسـم أو فعـل "نحـو: هـذا خالد، وهو يجعل" بتشديد الدال من "خالد" واللام من "يجعل.[17]

الوجـه "الخـامس": أن تقـف بنقـل حركـة الحـرف إلى مـا قبلـه، كقـراءة بعضـهم"، وهـو أبـو عمـرو: "وَتَوَاصَـوْا بِالصَّـبِرْ" [العصـر: 3] بنقـل الكسـرة إلى البـاء. "و" يجـوز النقـل "في نحـو: هـذا ردء" فتقـول: "ردء" بكسـر الـراء، وضـم الـدال. "وإن أدى النقـل إلى صـيغة: فعـل"، بكسـر أولـه وضـم ثانيـه لثقـل الهمـزة، وإذا سـكن مـا قبـل الهمـزة كـان النطـق بهـا أصـعب. ومـن لم يثبـت في أوزان الاسـم "فُعِـل"، بضـمة" في أولـه, "فكسـرة" في ثانيـه، "وزعـم أن "الـدُّئِل" منقـول عـن الفعـل لم يجـز في نحـو: بِقُفْـل" مـن قولـك: "مـررت بقُفْـل"، "النقـل"، لأنـه بعـد النقـل يصـير "بقُفِـل"، بضـم القـاف وكسـر الفـاء، "ويجيـزه في نحـو: بـبطء" مـن قولـك: "مـررت بـبطء"، "لأنـه مهمـوز" وعـدم النظـير في النقـل مـن الهمـزة مغتفـر لثقـل الهمـزة، إلا عنـد بعـض تمـيم، فيفـرون منـه إلى تحريـك السـاكن بحركـة الفـاء إتباعًـا فيقولـون: "هـذا ردئ" بكسـرتين، و"مـررت ببطـؤ" بضـمتين. وإذا نقلـت حركـة الهمـزة فالحجـازيون يحـذفون الهمـزة، ويقفـون علـى حامـل حركتهـا. كمـا يوقـف عليـه مسـتبدًا بـه، فيقولـون: "هـذا الخـب" بالنقـل، والحـذف، فيسـكنون البـاء, أو يرومـون، أو يشـمون، أو يضـعفون، وغـير الحجـازيين إذا نقـل لا يحـذف الهمـزة، لأنـه إنمـا راعـى دفـع اجتماع الساكنين، والحرص على الإعراب من الزوال.

ثم مـنهم مـن يثبـت الهمـزة فيقـول: "هـذا الـبطء، ورأيـت الـبطء, ومـررت بالـبطء" بسـكون الهمـزة في الأحـوال كلهـا. ومـنهم مـن يبـدلها بمجـانس الحركـة فيقـول: "هـذا البطـو، ورأيـت البطـا ومـررت بالبطـي". و"الخـبء"، بالخـاء المعجمـة والبـاء الموحـدة، مـا خبـئ في غـيره. "والـردء": المعـين، و"الـبطء": ضـد السـرعة. وأمـا الوقـف بالنقل إلى متحرك فلغة لخم، وأنشد عليها الجوهري لبعض الرجاز: [من الرجز]

ما زال شيبان شديدًا رهصه ... حتى أتانا قرنه فوقصه.[18]

الوقف بالإبدال:

ذكر الوقاد(ت:905هـ):" ومن الوقف بالإبدال" هاء، "قولهم: كيف الإخوة والأخواه، وقولهم: دفن البناه من المكرماه، حكاه قطرب عن طيئ، بإبدال تاء الجمع هاء في الوقف تشبيهًا بتاء التأنيث الخالصة. وقرأ الكسائي والبزي: "هيهاه" [المؤمنون: 36] بإبدال التاء هاء، والمنقول عن الكسائي أن من كسر التاء وقف عليها ومن نصبها وقف بالتاء والهاء. وفي الجاربردي أن من قدر "هيهات" جمعًا وقف عليها بالتاء، ومن قدره مفردًا وقف عليها بالهاء"[19]

الوقف باجتلاب هاء السكت:

قال الوقاد(ت:905هـ): " ومن خصائص الوقف اجتلاب هاء السكت" للتوصل إلى بقاء الحركة في الوقف كما اجتلبت همزة الوصل للتوصل إلى بقاء السكون في الابتداء.

وسميت هاء السكت لأنها يسكت عليها دون آخر الكلمة، "ولها ثلاثة مواضع:

أحدها: الفعل المعتل بحذف آخره، سواء كان الحذف للجزم نحو: لم يغزه، ولم يخشه، ولم يرمه"، بإلحاق هاء السكت فيهن جوازًا، "ومنه" أي من الحذف للجزم: {لَمْ يَتَسَنَّهْ} [البقرة: 259] ، على القول بأنه من "السنة" واحدة السنين، وأن لامها واو محذوفة، والأصل: يتسنوا، قلبت الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، وحذف الألف للجازم، ثم لحقته هاء السكت في الوقف، وهذا اختيار المبر. أما إذا قلنا إن لام "سنة" هاء على رأي الحجازيين فالهاء في "يتسنه" أصلية، لأنها لام الفعل, وهو مجزوم بالسكون"[20]

الهوامش

(1) العين 223/5.

(2) الصحاح 1440/4

(3) مقاييس اللغة135/6.

(4) تمهيد القواعد 5289/10.

(5) سيبويه219/3.

(6) تمهيد القواعد5289/10.

(7) التعريفات. صـ 253.

(8) النشر في القراءات العشر. ابن الجزري(ت:833 هـ). المحقق : علي محمد الضباع. 240/1. المطبعة التجارية الكبرى.

(9) شرح التصريح 615/2.

(10) كشاف اصطلاحات الفنون1802/2.

(11) شذا العرف156.

(12) شرح التصريح على مضمون التوضيح 616/2.

(13) شرح التصريح على مضمون التوضيح 617/2.

(14) نفسه 617/2

(15) نفسه223/2

(16) نفسه624/2

(17) نفسه 624/2

(18) شرح التصريح على التوضيح628/2

(19) نفسه230/2

(20) شرح التصريح على التوضيح232/2